مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيـــة
ISSN: 2709- 0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617- 5908 (print)

النفاذ في المثل القرآني وأثره في تفسير وتقريب المعاني(*)

د/عبد الكريم شرف محمد عبده
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن
وعميد كلية التربية والعلوم والآداب جامعة تعز
فرع التربة
sharf2020j@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث ٢٠٢٠/٧/١٠م تاريخ قبوله للنشر ٢٠٢٠/٩/١م.
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

النفاذ في المثل القرآني وأثره في تفسير وتقريب المعاني

د/عبد الكريم شرف محمد عبده
الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن
عميد كلية التربية والعلوم والآداب بجامعة تعز- فرع التربة

ملخص البحث:

يأتي هذا البحث.. ضمن تفسير القرآن بالقرآن من خلال النفاذ أو الخلوص من محسوس مشهود إلى معنوي غيبي أو مكنون، وكما يعرض لوجوه الحكمة من المثل القرآني والنفاذ فيه.. فإنه يقدم نماذج من تفسير المعنوي بالمحسوس، والغيبي بالمشاهد، والمكنون بالظاهر؛ في إطار المثل القرآني، فمن حياة الأرض بالماء بعد موتها.. ينفذ إلى البعث والنشور تارة، وإلى لين القلوب وخشوعها بالقرآن تارة أخرى، ومن طيب الأرض؛ ينفذ إلى طيب القلوب، ومن سيل الماء والزبد المتعدد.. ينفذ إلى الحق النافع والباطل البائد، ومن اختلاف ألوان الثمرات والمخلوقات.. ينفذ إلى تفاوت العلماء في الخشية من الله وفي الدرجات، ومن اختلاف أطوار النبات.. ينفذ إلى اختلاف أطوار الحياة.. ومع عظم أهمية النفاذ في المثل القرآني وأثره في تفسير وتقريب المعاني..، فقد قل الالتفات إليه.. الأمر الذي يجعل الإفادة منه أمرا ملحا ابتغاء فائدته في التفسير.. وقد جعلته في مقدمة وتمهيد، ومبحثين ضمنتها ثمانية مطالب، وخاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات. والله أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه، ويجعله خالصا لوجهه الكريم.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

الكلمات المفتاحية: النفاذ– المثل– الأثر.

Access to the Qur'anic Proverb and its Effect on the Interpretation and Approximation of Meanings

Dr . Abdulkareem Sharf Mohammed
By
Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences
Dean of the faculty of science and arts
Taiz University Altorba branch

Abstract

This research aims at interpreting the Qur'an by the Qur'an itself through penetration or clearance from an attested tangible to a metaphysical or hidden meaning. And it shows the possible interpretations of wisdom from the Quranic proverb and its hidden meaning by presenting examples of the interpretation of the intangible with the tangible, the unseen by the scenes, and the hidden with the visible.

Key words: Access, parable, impact

مقـــــدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فلما كانت غاية التفسير هي بيان معاني القرآن الكريم، وكان أحسن البيان تفسير القرآن بالقرآن، إما ببيان مجمل، أو تخصيص عام، أو إزالة الإيهام، أو غير ذلك من أساليب البيان في القرآن.. كان لابد من دراسة أسلوب النفاذ كأحد أساليب القرآن في بيان المعنى المكنون وتقريب الغيبي بالمشهود للإدراكات البشرية، وذلك بأيسر الأساليب وأبلغها، وأقل الألفاظ وأحكمها.

أهمية هذا البحث: لدراسة هذا الموضوع "أهمية كبيرة في إدراك المعاني المشتركة بين المتماثلات والمنتظمة للمحسوسات والمعنويات، وتقريب الغيبيات بالمشهودات، .. وغيرها.

أضف إلى ذلك فإن الاستفادة من هذا الأسلوب في البيان يمكن للمفسر تقريب المعاني بالمثل لذوي القدرات الفكرية المتفاوتة بما يكفل الكشف عن غاية الخطاب المقصود، وتقريب الغيبي بالمشهود.

والإشكالية التي يناقشها هذا البحث مفادها في الأسئلة التالية: ماذا نعني بالنفاذ في المثل القرآني؟ وماهي وجوه الحكمة من هذا النفاذ؟ وما هي النماذج في المثل القرآني التي من خلالها يتبين النفاذ وأثره في تفسير المعاني وتقريبها؟

أهداف البحث:

١- بيان معنى النفاذ في المثل القرآني وبعض وجوه الحكمة منه.

٢- تتبع واستقراء نماذج من النفاذ في المثل القرآني وبيان أثره في تفسير المعاني وتقريبها.

حدود البحث: نماذج مختارة من الآيات التي ورد فيها المثل القرآني.

الدراسات السابقة: لم أجد في حدود اطلاعي أي دراسة سابقة تتصل بهذا البحث، وذلك ما زادني حرصا على تتبع موارده في بعض الآيات المتضمنة للمثل القرآني، مما هداني الله إليه وأذن لي به فله الفضل والمِنَّة.

منهج البحث:

نهجت فيه **منهج استقراء الآيات واستنباط** الدلالات المعنوية لهذا النفاذ وأثره في بيان غوامض المعاني وتفسيرها أو تقريبها.. فعرضته في تمهيد ومبحثين ضمنتها ثمانية مطالب، كما هي أمام ناظريك.. وفقني الله وإياك للزيادة في الفهم والعلم والعمل والجزاء.

خطة البحث:

تمهيد: مفهوم واهمية النفاذ والحكمة منه في المثل القرآني.

المطلب الأول: مفهوم النفاذ "في اللغة والاصطلاح والقرآن والمثل القرآني".

المطلب الثاني: أهمية المثل والحكمة من النفاذ في المثل القرآني.

المبحث الاول: النفاذ في المثل القرآني من حياة الأرض بالماء إلى البعث، ومن طيب الأرض وحياتها بالماء إلى طيب القلوب وحياتها بالقرآن.

المطلب الأول: النفاذ في المثل من حياة الأرض بعد موتها إلى البعث بعد الموت.

المطلب الثاني: النفاذ في المثل من طيب الأرض ونبتها إلى طيب القلوب وثمرها.

المطلب الثالث: النفاذ في المثل من حياة الأرض بعد موتها إلى حياة القلوب بعد قسوتها.

المبحث الثاني: لنفاذ في المثل القرآني من الماء والزبد إلى الحق والباطل، من اختلاف الألوان والأطوار إلى اختلاف العلماء في الخشية من الله، واختلاف أطوار الحياة الدنيا.

المطلب الأول: النفاذ في المثل من سيل الماء والزبد إلى الحق والباطل.

المطلب الثاني: النفاذ في المثل من اختلاف الألوان إلى اختلاف العلماء في الخشية من الله تعالى.

المطلب الثالث: النفاذ في المثل من اختلاف أطوار النبات إلى اختلاف أطوار الحياة الدنيا.

خاتمة: ضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: مفهوم وأهمية النفاد والحكمة منه في المثل القرآني.

المطلب الأول: مفهوم النفاذ في اللغة والاصطلاح والقرآن والمثل القرآني.

أولا: النفاذ في اللغة والاصطلاح: في اللغة من (نفذ): الجواز.. والخلوصُ من الشيء إلى غيره.. تقول نَفَذْت أَي جُزْت... ونَفَذَ السَّهْمُ الرَّمِيَّةَ: خالط جوفها ثم خرج طرَفُه من الشق الآخر.. وطعنة نافذة منتظمة الشقَّين... ونفوذ الشيء إِلى الشيء نحو في المعنى من جريانه نحوه... والطريق النافذ الذي يُسلك وليس بمسدود... وفيه مَنْفَذٌ للقوم أَي مَجَازٌ[1] وقال ابن فارس: النون والفاء والذال: أصلٌ صحيح يدلُّ على مَضاءٍ في أمْرٍ وغيرِهِ[2]. ونستنتج مما سبق أن النفاذ: خرق ومجاوزة شيء والخلوص منه والمضاء إلى غيره عبر ممر نافذ[3].

تعريف النفاذ في الاصطلاح: يمكن للباحث تعريفه بأنه: خرق وتجاوز الشيء عبر منفذ والخلوص منه والمضاء إلى غيره.

ثانيا: النفاذ في القرآن:

وقد ورد لفظ نفذ ومشتقاتها في القرآن ثلاث مرات في قوله تعالى: **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)** [الرحمن: ٣٣].

وذكر المفسرون استعمال القرآن للنفاذ بمعان منها: "الجواز لأطراف السموات والأرض"(٤) والخروج عنهما"(٥) "والخلوص من الشيء كما يخلص السهم"(٦) والعبور من شاطئ إلى آخر"(٧) "والمضي والمضاء"(٨) كقوله.. {فقد مضت سنة الأولين} [الأنفال: ٣٨].

ويستنتج من ذلك أن النفاذ في القرآن استعمل بمعنى: الجواز والعبور والخروج والخلوص والمضي من الشيء إلى غيره.

ثالثا: مفهوم النفاذ في المثل القرآني:

يستدعي بيان النفاذ في المثل القرآني تعريف المثل في اللغة: فهو من "مِثل" كلمةُ تَسْوِيَةٍ يقال هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه.. والمُماثَلة لا تكون إلا في المتفقين... والمَثَلُ الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه.. ومَثَلُ الشيء أَيضاً صفته.. ويقال إنما المَثَل مأْخوذ من المِثال والحَذْوِ.. وفي التنزيل العزيز: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ} [الحج: ٧٣]** وقد يكون المَثَلُ بمعنى العِبْرةِ ومنه قوله عز وجل **{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}** [الزخرف: ٥٦].. أَي عِبْرة يعتبِر بها المتأَخرون.. ويكون المَثَلُ بمعنى الآيةِ كقول الله سبحانه في صفة عيسى عليه السلام: **{وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزخرف: ٥٩]** أَي آيةً تدلُّ على نُبُوّتِه.. والمِثالُ المقدارُ وهو من الشِّبْه والمثل ما جُعل مِثالاً أَي مقداراً لغيره.. والمِثال القالِبُ الذي يقدَّر على مِثْله(٩).

والمراد من المثل في بحثنا: الشبيه والنظير.. واستعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب(١٠).

وهو في الاصطلاح : تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر(١١) فمادة "مثل" قائمة على المماثلة والمشابهة والمشاكلة، وهو مقصود الباحث.

ويمكن تعريف **النفاذ في القرآن:** بأنه تشبيه شيء بشيء في القرآن بغرض تقريب المعقول بالمحسوس والغيبي بالمشهود بجامع المشابهة أو المماثلة بينهما.

تعريف النفاذ في المثل القرآني:

- بأنه تشبيه شيء بشيء في المثل القرآني بغرض تقريب المعقول بالمحسوس والغيبي بالمشهود بجامع المشابهة أو المماثلة بينهما.
- تجاوز المعنى الظاهر والمشهد المنظور والخلوص منه إلى معنى مكنون أو غيبي عبر منفذ جامع أو معنى مشترك بجامع المماثلة المعنوية بين المنفوذ منه والمنفوذ إليه.

المطلب الثاني: أهمية المثل والحكمة من النفاذ في المثل القرآني:

أولا: أهمية المثل القرآني:

تبدو أهمية الأمثال في القرآن في قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ..} [الإسراء: ٨٩] والتصريف: التنويع.. ومنه تنوع الأسلوب في المثل القرآني بما يقتضي الإذعان واطمئنان النفس والتذكر كما قال سبحانه **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}** [الزمر: ٢٧- ٣٠] **وكذلك تبدو أهمية الأمثال في القرآن في كونها لا يعقلها إلا أهل العلم كما قال سبحانه: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [العنكبوت: ٤٣] **أي**: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه[١٢] **ومن فهمها** وتدبرها: معرفة مراميها ومقاصدها؛ فقد "أوجب الإمام الشافعي على المجتهد معرفة الأمثال كعلم من علوم القرآن، وذلك لما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته"[١٣] **كما** اعتبر الماوردي "علم الأمثال في القرآن من أعظم العلوم لكون الناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات"[١٤].

وبناء على ما سبق من القول فإن أهمية الأمثال في القرآن تستنتج من تصريفها، وتنويعها في القرآن، كما تبدو من غايتها، وقصر تدبرها وعقلها على العلماء، ووجوب معرفتها لاسيما على المجتهد.

ثانيا: بعض وجوه الحكمة من المثل القرآني والنفاذ فيه:

لا شك أن لضرب الأمثال في القرآن حكم وغايات عامة، وهي كذلك للنفاذ في المثل القرآني ومنها:

١-تقرير المقصود بتشبيه الخفي بالجلي والشاهد بالغائب[١٥] فيكون النفاذ في المثل هنا وسيلة لإدراك مالا يمكن إدراكه من الأمور المكنونة والغيبية.

٢-تجسيد إرادة الله تعليم الخلق كيف يتجاوزون في العبرة من المشاهدة إلى الغيب[١٦] بالتعليم بالمثل.

٣-كشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد[١٧] وذلك لا يتأتى إلا بالنفاذ في الأمثال "فهي ميزان البلاغة، وَمِشْكَاةُ الْهِدَايَةِ"[١٨] والتَّمْثِيلَ إِذَا جَاءَ فِي أَعْقَابِ الْمَعَانِي، أَوْ بَرَزَتْ هِيَ بِاخْتِصَارٍ فِي مَعْرَضِهِ.. كَسَاهَا أُبَّهَةً، وَأَكْسَبَهَا مَنْقَبَةً، وَرَفَعَ مِنْ أَقْدَارِهَا، وَشَبَّ مِنْ نَارِهَا، وَضَاعَفَ قُوَاهَا فِي تَحْرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا، وَدَعَا الْقُلُوبَ إِلَيْهَا.. فَإِنْ كَانَ. أي التمثيل. مَدْحًا كَانَ أَبْهَى وَأَفْخَمَ، وَأَنْبَلَ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمَ.. وَإِنْ كَانَ ذَمًّا كَانَ مَسُّهُ أَوْجَعَ، وَمِيسَمَهُ أَلْذَعَ، ..... وَإِنْ كَانَ وَعْظًا كَانَ أَشْفَى لِلصَّدْرِ، وَأَدْعَى إِلَى الْفِكْرِ، وَأَبْلَغَ فِي التَّنْبِيهِ وَالزَّجْرِ، وَأَجْدَرَ بِأَنْ يُجْلِي الْغَيَابَةَ، وَيُبَصِّرَ الْغَايَةَ، وَيُبْرِئَ الْعَلِيلَ، وَيَشْفِي الْغَلِيلَ[١٩].

٤-تبكيت الخصم[٢٠] وذلك بما في المثل من سطوة على النفوس وسلطان، فهي من أمضى أسلحة الخصومة، فإن كان المثل حجاجا "كَانَ بُرْهَانُهُ أَنْوَرَ، وَسُلْطَانُهُ أَقْهَرَ، وَبَيَانُهُ أَبْهَرَ"[٢١] وذلك بما يرسله من إشعاعات الفكر، وتأثيرات القول، وعمق التجربة[٢٢].

٥-الهداية إلى أقوم السبل: فهي من أغراض تنويع الأمثال في القرآن.. وأسلم مناهج الإيمان"[٢٣].

٦-إيصال المعاني إلى القلوب، فإن القول إذا كان بديع النظم حسن الرصف، كان ألوط بالنفس، وأسرع إلى القبول والفهم، وما كل أحد يدرك حقيقة الأمثال، ولا ينال رتبة التشاكل والمثال[٢٤] وفي قوله عز وجل: **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [العنكبوت: ٤٣] تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بها جهلاء العقول، فما بالك بالذين اعتاضوا عن التدبر في دلالتها باتخاذها هُزءا وسخرية[٢٥].

٧-تضمنها المعاني الحسنة، والبراهين الواضحة، مما يعين على التدبر والتفكر والتذكر الذي يؤدي إلى معرفة الحق وقبوله[٢٦].

٨-تأتى الأمثال في آيات الله لتنزع الجهل والجهالة، وتقتلع بذور الشرك، وتضع اللبنات الأولى في بناء ذلك المجتمع الذى يحتاج إلى كثير من مواد البناء من مثل، وحكمة، وأمر، ونهى، وتبيان[٢٧] فهي من أهم متطلبات الدعوة إلى الله.

٩-تعد الأمثال من موازين الحق التي أنزلها الله في كتابه، ونبه بها عقول عباده إلى الأقيسة الصحيحة المتضمنة للتسوية بين المتماثلات، في الأحكام والأوصاف والتفريق بين المختلفات، وذلك عن طريق الصيغ التي جاءت بها الأمثال القرآنية[٢٨].

١٠-تعد من تمام حجة الله على خلقه، حيث ضرب الله الأمثال لجميع الأمم السابقة " كما قال تعالى: **{ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وكلا تبرنا تتبيرا}** [الفرقان: ٣٨. ٣٩] أي "الأشباه في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا

بعد الإنذار"[٢٩] وفصّل سبحانه الأمثال في خاتم كتبه القرآن الكريم، وضربها النبي ﷺ لأمته، فكمل بذلك البيان، واستنار الطريق، وتمت حجة الله على عباده[٣٠].

١١- اشتمالها على بيان تفاوت الأجر.. وذلك بما تضمنته الأمثال من الفوائد[٣١].

١٢- الإقناع بحسن الأمر الممثل له بإبراز محاسنه ومزاياه، أو الإقناع بقبحه وفساده، بإبراز مساويه وخزاياه[٣٢].

ويستنتج أن من وجوه الحكمة في المثل القرآني والنفاذ فيه، تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، والمعنوي بالمحسوس، والنفاذ إلى المعاني المكنونة وكشفها، وتبكيت الخصم، والهداية إلى أقوم السبيل، وإيصال المعاني إلى القلوب، وإقامة الحجة، وقوة الإقناع.

أعتبر هذا كاف لبيان بعض وجوه الحكمة من المثل القرآني والنفاذ فيه.. لننتقل للنظر في نماذج منه.

المبحث الأول: النفاذ من حياة الأرض إلى البعث، ومن طيب الأرض إلى طيب القلوب ومن حياة الأرض بعد موتها إلى حياة القلوب بعد قسوتها.

المطلب الأول: النفاذ بالمثل من حياة الأرض بعد موتها إلى البعث بعد الموت.

قال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [الأعراف: ٥٧].

ففي الآية ضَرَبَ اللهُ إِحْيَاءَ الْبِلَادِ بِالْمَطَرِ، مَثَلًا لِبَعْثِ الْبَشَرِ[٣٣] وهذا التمثيل منه تعالى للمشركين وعبدة الأصنام، المكذبين بالبعث بعد الممات، المنكرين للثواب والعقاب[٣٤] وقد جاء المثل بصورة النفاذ من "قضية كونية مرئية وواضحة لكل واحد؛ ولا يستطيع أحد أن يكابر فيها أو يعاند، لأنها أمر حسيّ مشاهد"[٣٥] إذ أن "هذا المشاهَدُ من عظيم قدرته بالحس؛ أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث[٣٦].

إنه مشهد "الرياح" الدائرة تقل السحاب إلى البلد الميت – بإذن الله – فإذا هو حي، وإذا الموات يؤتي من كل الثمرات "وكما يخرج الله الحياة من الموات في هذه الأرض، فكذلك يخرج الحياة من الموتى"[٣٧]. وهكذا ينفذ القرآن من "الحياة الناشئة المشاهدة بإرادة الله وقدره في هذه الأرض، إلى النشأة الآخرة التي تتحقق كذلك بمشيئة الله وقدره؛ على المنهج الذي يراه الأحياء في نشأة هذه الحياة"[٣٨] في مغزى تقريبي تتجلى من خلاله القدرة القاهرة في إخراج الموتى من القبور، بأسلوب يستحيي القلوب، ويستجيش العقول.

ومن ذلك قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر: ٩] وكقوله تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر: ٥٧] "فمن كان ذلك من قدرته، فيسير في قدرته إحياء الموتى بعد فنائها، وإعادتها خلقا سويا بعد دروسها"[٣٩] ونظائر هذا النفاذ في التمثيل في القرآن كثيرة[٤٠] فليرجع إليها من أحب الاستزادة منها.

أثر هذا النفاذ بالمثل:

تتجلى قيمة هذا النفاذ وأثره في تقريب معنى البعث والنشور، للإدراكات البشرية بمشاهد محسوسة ومرئية من حياة الأرض بعد موتها؛ تقام بها الحجة.. ويُفحم الخصمُ الجاحدُ، ويزداد به المؤمن إيمانا وتسليما.

المطلب الثاني: النفاذ بالمثل من طيب الأرض ونبتها إلى طيب القلوب وثمرها.

قال تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} [الأعراف: ٥٨] فتصريف الآيات فيه تصريف الأمثال بتشبيه ضمني.. {والبلد الطيب} في الآية باتفاق "هو الكريم من الأرض الطَّيِّبَ[٤١] التُّرْبَةِ الَّتِي يَخْرُجُ نَبَاتُهَا بِسُهُولَةٍ. وَيُنَمَّى بِسُرْعَةٍ، وَيَكُونُ كَثِيرَ الْغَلَّةِ طَيِّبَ الثَّمَرَةِ {والذي خَبُثَ} بخلاف ذلك كَالْحَرَّةِ السبخة[٤٢]. لا يخرج نبتها على قلته. إن أنبتت. إلا بعد عناء ومشقة وَصُعُوبَةٍ. قَالَ الرَّاغِبُ: النَّكَدُ كُلُّ شَيْءٍ خَرَجَ إِلَى طَالِبِهِ بِتَعَسُّرٍ[٤٣] أ. هـ.

وينسب لابن عباس رضي الله عنهما قوله: "هذا مثل ضربه الله للمؤمن. يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة[٤٤].

ونجد سيد قطب ينفذ في تفسيره من طيب الأرض إلى طيب قلب المؤمن سالكا منحى سلفه.. فيقول: "والقلب الطيب يُشبَّه في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله ﷺ بالأرض الطيبة، وبالتربة الطيبة، والقلب الخبيث يُشبَّه بالأرض الخبيثة وبالتربة الخبيثة. فكلاهما.. القلب والتربة.. منبت زرع، ومأتى ثمر. القلب ينبت نوايا ومشاعر، وانفعالات واستجابات، واتجاهات وعزائم، وأعمالاً بعد ذلك وآثاراً في واقع الحياة. والأرض تنبت زرعاً وثمراً مختلفاً أكله وألوانه ومذاقاته وأنواعه..

والهدى والآيات والموعظة والنصيحة تنزل على القلب كما ينزل الماء على التربة. فإن كان القلب طيباً كالبلد الطيب، تفتح واستقبل، وزكا وفاض بالخير. وإن كان فاسداً شريراً – كالذي خبث من البلاد والأماكن– استغلق وقسا، وفاض بالشر والنكر والفساد والضر. وأخرج

الشوك والأذى، كما تخرج الأرض النكدة! {كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون} بهَذَا التَّصْرِيفِ الْبَدِيعِ الْمِثَالِ الْمُوَضَّحِ بِالْأَمْثَالِ، نُصَرِّفُ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى عِلْمِنَا وَحِكْمَتِنَا[٤٥] لقوم يشكرون.. والشكر ينبع من القلب الطيب، ويدل على الاستقبال الطيب، والانفعال الطيب. والشاكرون هم الذين يحسنون التلقي والاستجابة.. فهم الذين ينتفعون بها، ويصلحون لها، ويصلحون بها[٤٦] ويعقلون الامثال.

لم يكن بدعا هذا النفاذ الذي سلكه ابن عباس رضي الله عنهما.. وتبعه سيد قطب في ذلك النفاذ بالتمثيل من الأرض الطيبة إلى القلب الطيب.. فلقد سلكه النبيﷺ في قولهﷺ: **(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة؛ قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل فقه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به)**[٤٧]. ولاشك أن محل الفقه القلب كما جاء في قوله تعالى: **{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا}** [الأعراف: ١٧٩] والمفسرون في بيان الحق تبع للنبيﷺ.

وَقَدْ فَسَّرَﷺ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ وَهُوَ الَّذِي نَفَعَ وَانْتَفَعَ كَالْهَادِي وَالْمُهْتَدِي، وَالثَّالِثَ الَّذِي لَمْ يَنْفَعْ وَلَمْ يَنْتَفِعْ كَالْجَاحِدِ، وَسَكَتَ عَنِ الثَّانِي وَهُوَ الَّذِي انْتَفَعَ غَيْرُهُ بِعِلْمِهِ مِنْ دُونِهِ كَالْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ غَيْرَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ الْمُشَبَّهِ بِالْأَرْضِ الَّتِي تُمْسِكُ الْمَاءَ وَلَا تَنْبُتُ وَحَالُهُ مَعْلُومَةٌ بَلْ لَهُ أَحْوَالٌ، فَمِنْهُ الْمُنَافِقُونَ وَمِنْهُ الْمُفَرِّطُونَ وَيَدُلُّ الْمَثَلَانِ عَلَى أَنَّ الْوِرَاثَةَ سَبَبٌ فِطْرِيٌّ لِهَذَا التَّفَاوُتِ فِي الِاسْتِعْدَادِ[٤٨].

وعليه "فقلب المؤمن كالبلد الطيب، لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه[٤٩] فهو قابل للوعظ[٥٠] سامع له، وعاه وعقَله وانتفع به[٥١] وإذا زكا الأصلُ نما الفرع" وقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء[٥٢] يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه[٥٣] وكذا قلب المنافق[٥٤] والنابي عن الموعظة[٥٥] فإذا خبُث الجوهر لم يَطبْ ما تحلَّل منه، وإن طاب العنصر فالجزء يحاكي أصله..، فَمَنْ صفا باطنُ قلبه زكا ظاهرُ فعله، ومن كان بالعكس فحاله بالضد[٥٦].

وكما يختلف حال إخراج النّبات من الأرض؛ يختلف حال النّاس الأحياءِ في الانتفاع برحمة هُدى الله[٥٧] وكذا "استعداد الناس للإيمان بالبعث مختلف باختلاف الطبائع والنفوس، فمنها الطيب الذي يتجاوب لنداء الإيمان، ومنها الخبيث الذي يعرض عن الإيمان"[٥٨].

وهكذا ينفذ المثل القرآني "من اخْتِلَافَ إِنْتَاجِ الْبِلَادِ مَثَلًا لِمَا فِي الْبَشَرِ مِنِ اخْتِلَافِ الِاسْتِعْدَادِ، لِلْغَيِّ وَالرَّشَادِ"[٥٩] وَمَنِ اخْتَبَرَ النَّاسَ رَأَى أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَخْرُجُ مِنَ الطَّيِّبِينَ عَفْوًا بِلَا تَكَلُّفٍ، وَأَنَّ الْخَبِيثِينَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالْمَعْرُوفُ وَلَا الْحَقُّ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ إِلَّا نَكِدًا، بَعْدَ إِلْحَافٍ أَوْ إِيذاءٍ فِي الطَّلَبِ أَوْ إِدْلَاءٍ إِلَى الْحُكَّامِ وَمُرَاوَغَةٍ فِي الْخِصَامِ[٦٠].

أثر هذا النفاذ في بيان أحوال القلوب:

لما كانت أعمال القلوب خفية غير ظاهرة؛ كان التمثيل للقوب بطيب الأرض، ولخبثها بخبث الأرض، وبكلمات قليلة محكمة ومثل محسوس، يجسد التنوع في طيب الأرض وخبثها، وطيب القلوب وأحوالها، فقد خلص من الأرض الكريمة المتعددة ثمراتها؛ إلى القلوب الطيبة التي لا يصدر عنها إلا ألون الخير والنفع للنفس وللناس، وبذلك اتضح المعنى باقل العبارات وأحكمها.

ويستنتج مما سبق أن القرآن نفذ بمثل من الأرض الطيبة إلى القلوب الطيبة بالإيمان وثمراته.. كما نفذ من المثل بالأرض الخبيثة إلى القلوب الخبيثة، وما يستتبعه خبثها من الأذى، والحقد، والكيد للحق وأهله.

المطلب الثالث: النفاذ بالمثل من حياة الأرض بعد موتها إلى حياة القلوب بعد قسوتها.

قال تعالى: {**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون. اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**} [الحديد: ١٦. ١٧] هكذا يبدو للمتدبر النفاذ من حياة الأرض بعد موتها بالماء إلى حياة القلوب بذكر الله بعد قسوتها، ومن المحسوس في جفاف الأرض وجدبها وحياتها بالغيث؛ إلى المعنوي في قسوة القلوب وحياتها بالقرآن وبالذكر والخشوع، وإن كان التشبيه ضمنيا دون أداة.

وفي هذ النفاذ يقول ابن كثير: فكما يحيي الله الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتَّان الوابل؛ كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل[٦١].

ويقول الآلوسي: في الآية تمثيل ذكر استطراداً لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة كإحياء الأرض الميتة بالغيث، للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة. أهـ [٦٢].

وقال ابن عطية: وفيه ندب إلى لخشوع، وهذا ضرب مثل واستدعاء الى الخير رقيق وتقريب بليغ، أي لا يبعد عنكم أيها التاركون للخشوع رجوعكم إليه وتلبسكم به (فإن الله

يحيي الارض بعد موتها) فكذلك يفعل بالقلوب؛ يردها إلى الخشوع بعد بُعدِها عنه، وترجع هي اليه. إذا وقعت الإنابة والتكسب من العبد. بعد نفورها منه، كما تحيى الأرض بعد أن كانت ميتة غبراء[٦٣].

يقول ابن عاشور رحمه الله.. وقوله: **(اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها)** استعارة تمثيلية مصرّحة ومَكْنية بسبب تضمنها تشبيه حال ذِكر الله والقرآن في إصلاح القلوب، بحال المطر في إصلاحه الأرض بعد جدبها[٦٤].

وبيان الآيات يحصل من فصاحة الكلام وبلاغته، ووفرة معانيه وتوضيحها، .. ومن أوضح البيان التنظير بأحوال المشابهين في حالة التحذير أو التحضيض[٦٥] فكما أن الله يحيي الأرض بالنبات والغيث بعد جدبها؛ قادر على أن يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلالها، ببراهين القرآن ودلائله[٦٦] وهذا تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة[٦٧]. فماء العين في الأرض حياة الزرع، وماء العين على الخد حياة القلب[٦٨] ولا يتدبر هذ المثل وينتفع به إلا أولو الألباب.

وهكذا ينفذ القرآن بهذه الآية من خلال الاستعارة التمثيلية إلى حقيقة مفادها أن "في هذا القرآن ما يحيي القلوب كما تحيا الأرض؛ وما يمدها بالغذاء والري والدفء"[٦٩] ويلينها بعد قسوة، وإن قسوة القلب تحصل من اتباع الشهوة، والشهوة والصفوة لا تجتمعان فإذا حصلت الشهوة رحلت الصفوة، وموجب القسوة هو انحراف القلب عن مراقبة الربّ[٧٠].

أثر النفاذ في التمثيل بحياة الأرض لحياة القلب:

وعن أثر هذا النفاذ بالتمثيل لحياة القلوب بحياة الأرض، نجد فيه بيانا لمعنى حياة القلوب وإرشادا لها إلى وسيلة الإنابة إلى الله والحث على تعهد النفس بالموعظة، والتذكير بالإقبال على القرآن وتدبره رجاء حياة القلوب به كحياة الأرض بالغيث.

ويستنتج مما سبق أن القرآن نفذ من حياة الأرض بالغيث بعد موتها؛ باستعارة تمثيلية لبيان القدرة الالهية في إحياء القلوب بعد قسوتها، ثم جاء التعقيب بقوله تعالى: **(قد بينا لكم الآيات)** ليتضح أن الاستعارة التمثيلية بالمحسوس للمعنوي من سبل البيان وتقريب أو تفسير المعاني. وهذا من أبلغ البيان في القرآن.

المبحث الثاني: النفاذ في المثل القرآني من الماء والزبد إلى الحق والباطل، من اختلاف الألوان والأطوار إلى اختلاف العلماء في الخشية من الله، واختلاف أطوار الحياة الدنيا.

المطلب الأول: النفاذ في المثل القرآني من الماء والزبد إلى الحق والباطل".

قال تعالى: **{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}** [الرعد: ١٧] في الآية مثلان يتضحان للقارئ عند تدبر الآية، وفيما ضرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه الحق والباطل؛ فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيُمحق؛ كذلك الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال فإن الله سيبطله[٧١] وهذا يؤيده ظاهر الآية **{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ}** [الرعد: ١٧]

القول الثاني: أنه القرآن شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك والعقل والجهل، فيستكن فيها فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكه وكفره[٧٢] وممن ذهب هذا المذهب ابن قيم الجوزية إذ يقول:

شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار، بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا؛ وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير.. واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتمل غثاء وزبدا، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها، كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه.. وذلك من تمام نفع الدواء، فانه أثارها ليذهب بها، فإنه لا يجامعها ولا يساكنها وهكذا **(يضرب الله الحق والباطل)**[٧٣].

وانضم إلى هذا القول ابن عاشور إذ يقول "شبه إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء؛ وشبه ورود القرآن على أسماع الناس بالسيل يمر على التّلال والجبال فلا يستقر فيها؛ بل يمضي إلى الأودية والوهاد فيأخذ منه كُلّ بقدر سعته. وتلك السيول في حال نزولها تحمل في أعاليها زَبَداً ..، فيذهب الزبد غير منتفع به ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقي[٧٤].

القول الثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد[٧٥].

والراجح أنه مثل ضرب للحق والباطل وذلك لورود النص في الآية **{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ}** [الرعد: ١٧] "ولا يجوز العدول عن ظاهر الآية إلا بدليل يجب التسليم له"[٧٦] أضف إلى ذلك أن الإيمان والقرآن داخلان في عموم الحق، والكفر والشك داخلان في عموم الباطل، ويبقى **"الخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه "**[٧٧] والاختلاف في تنوع الألفاظ، .. والمقصود واحد كما قال عز وجل: **{ويرى الذين أوتوا العلم الذي انزل إليك من ربك الحق}** [سبأ: ٦] فمرد هذه الأقوال كلها إلى الحق وما اتصل به والباطل وما شاكله.

هكذا جاء نفاذ القرآن في بيان الحق والباطل من خلال التمثيل بالمشاهد المحسوسة المتكررة في حياة الناس، وهو الماء النازل من السماء، المتدفق في أودية، ... ونكرت لأن الغيث لا يعم جميعها[٧٨]. يتعالى عليه الزبد "الأبيض المرتفع المنتفخ وهو الغُثاء والرغوة"[٧٩] أو الرماد ومخلفات النار التي يوقد بها لتخليص الذهب والفضة والمعادن.

هذا الماء يمكث في الأرض **{فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً}** [الحج: ٦٣] بالنبات، فإذا الحب في سنبله، والثمرات في أكمامها، وإذا القطع المتجاورات تجود بأنواع العنب والنخيل **{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}** [الأنعام: ٩٩] **{يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ}** [الرعد: ٤] وإذا الأنعام تأكل من زرع الأرض، فيأكل الإنسان من لحمها، وينعم بدفء جلودها، واصوافها وأشعارها **{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}** [النحل: ٨٠] وأخرى **{نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}** [النحل: ٦٦] { .. **وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}** [المؤمنون: ٢١، ٢٢] وإذا النحل تسلك سبل ربها ذللا فتأكل من كل الثمرات ثم **{يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ}** [النحل: ٦٩] ويتبادل الناس منافعهم.. وبذلك يتحقق النفع العام للإنسان والحيوان... أما الزبد فقد تجافى عن الأرض، وتجافى الناس عنه، لأنه لا نفع فيه، ولا قيمة له، فيلقى ويطرح.

وفي ذلك التمثيل "دلالة على بديع تصريف الله تعالى للأمثال" ليحصل التخلص من ذكر دلائل القدرة إلى ذكر عبَر الموعظة"[٨٠] فهذا نفاذ أول، ثم نفاذ من الماء إلى الحق، ومن الزبد متعدد المصادر إلى الباطل متعدد الشبهات... وهكذا يتشبه الحق بالماء في الآتي:

وحدة مصدرهما: فكما أن الماء أنزله الله من السماء "وهي جهتها" فكذلك الحق نزل من السماء مع الكتاب، **{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ..}** [سبأ: ٦] **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}** [النساء: ١٠٥].

بينما الباطل متعدد المصادر كتعدد الشبهات والظلمات؛ فمنه "الغثاء الذي يحمله السيل رابيا عاليا منتفخا، ومخلفات النار التي توقد لتخليص الحلية. الذهب والفضة. من الخبث، أو ابتغاء متاع كالحديد والرصاص والنحاس والصفر وشبهها، وسمي ذلك متاعا لأن الناس يستمتعون به في مرافقهم وحوائجهم[٨١] فكل ما ينتفع به الناس، ونفعه باق يتصل بالحق، وكل ما يذهب جفاء يتصل بالباطل.

وكما أن الأرض تقبل النافع ليمكث فيها، وتلقي الزبد فكذلك قلب المؤمن يتعامل مع الشهوات والشبهات "يرميها ويطرحها ويجفوها، كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي[٨٢] ويجفو الزبد الذي "ليس فيه منفعة، وليس له دوام"[٨٣].

- **تدفق الماء والقذف بالحق،** فكما يتدفق الماء حسب سعة الوادي، ويحمل زبد الباطل ليطرحه ويلقيه؛ كذلك **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}** [الأنبياء: ١٨] والقذف: الرَّمْي بشدة مثل القذائف المدمرة[٨٤] وهو مستلزم لصلابة الرمي؛ وقد استعير للإيراد أي نورد الحق على الباطل[٨٥] فيدمغه: أي يمحقه بالكلية.. وأصل الدمغ كسر الشيء الرخو الأجوف وقد استعير للمحق[٨٦] فلا يملك الباطل قدرة حقيقية لمقاومة الحق حين يقذف به عليه، لأنه لا أصل له.
- **تعدد منافع الماء والحق:** فكما تتعدد منافع الماء، تتعدد منافع الحق، والحق معياره أنه نافع للناس، ومع كونه يحتاج إلى عمل دؤوب، وجند مخلصين، وحماس لنصرة الحق، وتضحية في سبيل الدفاع عنه..، كما يحتاج الماء إلى تسييره في الجداول، وتحويله لقطع الأرض المتجاورة، وجهد لسقي بذر الحب، والعناية بالأشجار والنباتات، وحراسة الثمر، وحسن تسويقها، وتخزين الماء لضمان الانتفاع به في وقت الجفاف.. واستخراج مخزون المياه بقدر الحاجة إليها، والانتفاع بما سلكه من ينابيع في الأرض، وكل ذلك جهد مبذول يكون سببا لتحصيل الانتفاع بتعدد النبات ونمو الأشجار وتنوع الثمار، فكون الماء ماكث في الأرض فهو يتيح للإنسان التمهل في استثماره وتعدد وجوه الانتفاع به، والناس في الانتفاع بالماء على درجات متفاوتة.

وكذلك تبدو وجوه الانتفاع بالحق كثيرة تنبو عن العد والإحصاء، فمنها انتشار التوحيد، وتضاؤل الشرك، وعموم العدل، والأمن، والرخاء والاستقرار، ومضادة الباطل وما يتفرع عنه من البغي والفحشاء والمنكر، بل هناك ارتباط بين الانتفاع بهما، فمن قبل الحق وانتفع به فُتح عليه من بركات السماء والأرض كما قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}** [الأعراف: ٩٦] فالإيمان والتقوى معيار قبول الحق، ومحل ذلك القلوب، وبركات السماء والارض مرتبطة بهذا الإيمان.

وقد اعتبر قتادة السدوسي أن المثل في الآية مضروب "لنفع الحق واضمحلال الباطل، وأن القلوب في قبولها للحق كالأودية في قبولها للماء وجريانها بالسيل" بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغراً وكبراً[٨٧] وهذا الحال مقصود في التمثيل لأنه حال انصراف الماء لنفعٍ لا ضرّ معه، لأنّ من السيول جواحف تجرف الزرع والبيوت والأنعام[٨٨] "وفي تفاوت الأودية في قبولها لمقادير المياه حظ من التشبيه باختلاف الناس في قابلية الانتفاع بما نزل من عند الله"[٨٩] إذ الأودية يستكن فيها الماء، كما يستكن القرآن والإيمان في قلوب المؤمنين[٩٠] فتنتفع بعموم نزول القرآن، كانتفاع الناس بعموم نزول الغيث.

ويظهر قبول القلوب للحق بنقض الشبهات، والتجافي عن الشهوات لا سيما التي تلبست بالحق أو التبس على القلوب إدراكها عند ما قل يقينها أو نقص إيمانها، وقد ضرب النبيﷺ مثلين أحدهما لانتفاع القلوب بما جاء به من الهدى والعلم، والآخر بالقلوب وموقفها من الفتن قبولا ورفضا.

وقد جاء في المثل الأول: قولهﷺ: "**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير..**»[٩١].

وفي المثل الثاني: قال حذيفة سمعت رسول اللهﷺ يقول: **(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلبٍ أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)**[٩٢] فكما أن الأرض لا تقبل الزبد، تفصله عن الماء فإن القلوب المؤمنة تنفسح للنور وتنشرح، وتضيق بالباطل ذرعا، خلافا لقلوب أهل الزيغ والضلال.

"ولما كان الماء مثَلا للحق والزبد مثلا للباطل، ارتقى عند ذلك إلى ما في المثلين من صفتي البقاء والزوال ليتوصل بذلك إلى البشارة لأهل الحق ببقاء الحق ودوامه لكونه نافعا

للناس، والنذارة لأهل الباطل بزوال الباطل واضمحلاله لأنه لا نفع فيه، كقوله تعالى: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ}** [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦] فصار التشبيه تعريضاً وكناية عن البشارة والنذارة "[٩٣] بما ينفع الناس للإيماء إلى وجه الخير والبقاء في الأرض، وتعريضاً للمشركين.. ليعلموا أنهم ليسوا مما ينفع الناس، فهم كالزبد يذهب جفاء "طريحا مرميا"[٩٤].

واكتفي بذكر وجه شبه الحق النافع بالماء والباطل غير النافع بالزبد، عن ذكر وجه شَبَه الحق النافع بالذهب أو الفضة والباطل غير النافع بزبدهما استغناء عنه[٩٥]. ووجه المماثلة بين زبد السيل وزبد المعادن أن " كلا منهما ناشئ من الأكدار، وكلاهما يذهب باطلاً ضائعاً، وكذلك الباطل وإن علا في وقت، فإنه يضمحل ويذهب في وقت آخر"[٩٦] وأما الماء الصافي الذي ينفع الناس وينبت المراعي فيمكث في الأرض، وكذلك الصفو من هذه الأجسام وجوهرها النقي؛ فإنه يبقى خالصاً لا شوب فيه وهو مثل الحق[٩٧].

وعن هذا النفاذ في التمثيل يقول سيد قطب: "وليس هذا أو ذلك بعد إلا إطاراً للمثل الذي يريد الله ليضربه للناس من مشهود حياتهم الذي يمرون عليه دون انتباه... إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاء، فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان. هذا الزبد نافش راب منتفخ.. ولكنه بعد غثاء. والماء من تحته سارب ساكن هادئ... ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة.. كذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل. ولكنه بعدُ خبثٌ يذهب ويبقى المعدن في نقاء[٩٨].

ومن هذا المشهد المحسوس ينفذ إلى المعنوي من مثل الحق والباطل في هذه الحياة. "فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابياً طافياً ولكنه بعدُ زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه... **{كذلك يضرب الله الأمثال}** لتستبين من خلال هذه الأمثال حقائق ومصائر الدعوات والاعتقادات والأعمال والأقوال. وهو الله الواحد القهار، المدبر للكون والحياة، العليم بالظاهر والباطن، والحق والباطل والباقي والزائل[٩٩].

أثر هذا التمثيل والنفاذ فيه: بهذا التمثيل اتضح الحق المعنوي بالماء المحسوس كما تبين معنى الباطل بالزبد المرئي الضائع المنبوذ، وذلك بأقل الألفاظ وأحكمها.. كما ظهر في الجملة الاعتراضية في الآية: **{وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ}** [الرعد: ١٧][١٠٠] ما يفيد تقريب التمثيل لقوم لم يشاهدوا سيول الأودية من سكان القرى...،

فقرب إليهم تمثيل عدم انتفاعهم بما انتفع به غيرهم ، بمَثَل ما يصهُر من الذهب والفضة في البواتق فإنه يقذف زبداً ينتفي عنه وهو الخَبث، وهو غير صالح لشيء في حين صلاح معدنه لاتخاذه حلية أو متاعاً.. فالكلام من قبيل تعدّد التشبيه القريب[١٠١].

كما أن هذا الضرب البديع للأمثال يأتي لكمال العناية من الله بعباده واللطف بهم في الإرشاد والهداية، وفيه ما فيه من تفخيم لشأن هذا التمثيل[١٠٢] وهو المقصود بهذا التذييل[١٠٣] **(كذلك يضرب الله الامثال)** لماله من أثر كبير في تقريب المعاني بل وفي تفسيرها بصور مشهودة، ما كان ليتأتى هذا الفهم بغير هذا النفاذ، وتلك من أبلغ الأساليب القرآنية التي لا يعقلها إلا العالمون.

ويستنتج أن القرآن ضرب مثلا نافذا من الماء النافع الذي يمكث في الأرض إلى الحق النافع، وبالزبد الذ ي يذهب جفاء مرميا. مهما علا. مثلا للباطل بجامع النفع في الماء والحق، وعدم النفع في الزبد والباطل.. وبكلمات قليلة محكمة أثرت في بيان حقيقة الحق والباطل بمشهد محسوس ومرئي.

المطلب الثاني: النفاذ من اختلاف الألوان إلى اختلاف وتفاوت العلماء في الخشية من الله.

قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}** [فاطر: ٢٧، ٢٨].

والذي يستلفت انتباه الباحث في الآيات... هذا النفاذ أو الانتقال من اختلاف ألوان الثمرات، وجدد الجبال. وهي "الخطط الواضحة والطرائق والشعاب"[١٠٤] واختلاف ألوان الناس والأنعام والدواب... إلى اختلاف ألوان الناس وتفاوت العلماء في الخشية من الله.. فما أداة التشبيه وبوابة النفاذ بين اختلاف الألوان وتفاوت خشية العلماء من الله ؟؟... هذا السؤال هو ما يحاول الباحث الإجابة عليه هنا في هذا المطلب.

فمن استقراء أقوال المفسرين في هذه الآية أجد منهم من يشارف في الوصول إليها، ومنهم من يغفلها، ومنهم من يسمها بغير هذا الاسم.

فابن كثير يوقفنا عند كمال القدرة الإلهية في خلق الاشياء المختلفة من الشيء الواحد.. إذ يخرج سبحانه بالماء ثمرات مختلفا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض.. كما

تختلف طعومها وروائحها[١٠٥] وهي ذات القدرة التي خلقت من الماء بشرا مختلفة ألوانهم "فمنهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك"[١٠٦] **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}** [الروم: ٢٢]

ثم ينتقل إلى تفسير قوله تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر: ٢٨] فيقول: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى.. كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر[١٠٧]. فمدار الخشية ذلك العلم... فكل من كان أعلم به تعالى كان أخشى[١٠٨] وهكذا نرى أن ابن كثير أطلق المعرفة والعلم، فشارف في الوصول؛ لكنه لم يذكر الرابط أو المنفذ بين اختلاف الألوان وخشية العلماء وهو ما نبحث عنه هنا.

ويستلفت سيد قطب الانتباه "إلى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد.. معتبرا أن هذه اللفتة تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة[١٠٩].

ويكاد يقترب أكثر من الغرض المقصود فيقول "هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين، يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول: إن العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله [١١٠] وذلك لأنهم "يعرفون الله بآثار صنعته، وآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه، من ثم يخشونه.. ويتقونه.. ويعبدونه حقاً. لا بالشعور الغامض... ولكن بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر... علماً يستشعره القلب، ويتحرك به[١١١] فيخرون لله سجدا استشعارا لجلاله وخشيته.

وقد بين القرآن مشاهد خفية من خشيتهم مؤكدا أن هذا هو العلم الحق في قوله تعالى: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}** [الزمر: ٩] فالعلم بالله وأسمائه وصفاته.. والتفكير في عجائب آياته المتلوة والمشاهدة المرئية ونحو ذلك مما يوجب خشيته وإجلاله، هو أصل العلم النافع[١١٢] الذي به يدرك الحق وتفتح البصيرة... هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود... عبر القنوت لله. وحساسية القلب، واستشعار الحذر من الآخرة، والتطلع إلى رحمة الله. وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن[١١٣] وهي منقطعة الصلة بحقائق الوجود وآياته المنبثة فيه.

وما سبق من هذه الأقوال التي أوردناها دون الوصول إلى إدراك منفذ التشابه بين اختلاف الألوان.. وتفاوت العلماء في الخشية، وهو ما يحملنا على العودة إلى كلمة {كَذَلِكَ} في الآية [فاطر: ٢٨] هل جاءت تذييلا للكلام قبلها وتماما له.؟ أم هي مبتدأ كلام متعلق بما بعده؟ وما هي دلالتها المعنوية في كلا الحالين؟ ويمكن أن نجمل الجواب أن الأقوال الواردة فيها تدور بين التمام والابتداء وذكر الاحتمالين معا دون ترجيح.. وإليك التفصيل:

القول الأول: أن "كذلك" متممة للكلام قبلها.

وقد اختار الكثير من المفسرين أن قوله تعالى: **{كَذَلِكَ}** [فاطر: ٢٨] تمام الكلام واستحسنوا الوقف عليها، وهم الأغلب[١١٤] ونقل بعضهم إجماع أهل الأداء[١١٥] بالوقف عليها استحسانا؛ واعتبر الآلوسي قوله عز وجل: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء}** تكملة بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد الإيماء إلى بيان شرف الخشية ورداءة ضدها[١١٦].

وعلى هذا القول يكون المعنى أن اختلاف ألوان البشر كاختلاف ألوان الأنعام والدواب والثمرات، والجبال وما فيها من الطرق البينة الواضحة، سنة إلهية كونية مبنية على الحكمة المطلقة في إرادة التنوع، وهو دائم لا يتغير في سائر ما ذكر؛ بينما يكون في البشر مرة واحدة عند الخلق وعند تولد النسل"[١١٧].

القول الثاني: الابتداء ب (كذلك) والوقف على ما قبلها.

وأما معنى (كذلك) على الابتداء بها عند من يرى ذلك الأظهر ومنهم ابن عاشور إذ يقول: والأظهر عندي أن (كذلك) ابتداء كلام يتنزل منزلة الإخبار بالنتيجة عقب ذكر الدليل.. وهو توطئة لما يرد بعده من تفصيل الاستنتاج بقوله **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر: ٢٨] وهو من فصل الخطاب.. ولذلك يحسن الوقف على ما قبل (كذلك) ويستأنف بها مع ما بعدها.. وأما جعلها من توابع الكلام السابق فلا يناسب نظم القرآن لضعفه[١١٨] ويؤيد هذا الاستنتاج ما أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال في الآية: كما اختلفت هذه الأنعام تختلف الناس في خشية الله [١١٩].

فيكون المعنى كذلك الاختلاف في الألوان تتفاوت ألوان الخشية ودرجاتها عن العلماء أي "إنما يخشى الله من عباده العلماء منهم،... وإذا علم ذلك دل بالالتزام على أن غير العلماء لا تتأتّى منهم خشية الله؛ فدلّ على أن البشر في أحوال قلوبهم ومداركهم مختلفون"[١٢٠]. ومدار الخشية فيهم هو العلم، وهذا نظير قوله عز وجل: **{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ}** [يس: ١١].

ويقول الزمخشري "بعد أن عدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته، وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدلّ به عليه وعلى صفاته، أتبع ذلك بقوله "**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** (كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك: ممن عرفه حق معرفته[١٢١] وعرف توحيده، وصفاته، وشرعه، وعدله، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها[١٢٢] فهؤلاء هم الذين عظموه وقدروه حق قدره، وخشوه حق خشيته، ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً[١٢٣] ففي قول الزمخشري "كأنه قال إنما يخشاه مثلك على أن المخاطب النبيﷺ إيماء إلى تأسيس هذا المعنى على الابتداء ب (كذلك) ليتسق هذا مع ما صرح به ابن عاشور.

بينما يذكر ابن عاشور النفاذ على أنه تخلص فيقول "وأوثر هذا الأسلوب في الدلالة تخلصاً للتنويه بأهل العلم والإيمان؛ لينتقل إلى تفصيل ذلك[١٢٤] فقد سمى ابن عاشور النفاذ خلوصا للتنويه بمكانة العلماء وارتفاع قدرهم، وهو ما يؤيده الباحث.

وعلى هذا القول الثاني يكون المعنى "كما تختلف أذواق البشر واستعداداتهم في التعامل مع تنوع الثمرات في تفضيل بعضها على بعض في الأكل، كذلك تتفاوت مدارك العلماء واحوالهم في إدراك الحكمة وراء هذا التنوع واختلاف الألوان، وإدراك قدرة الله تعالى في إخراج المتنوعات والمتضادات من مصدر واحد ومكون واحد، وبتفاضل العلماء في هذا الإدراك يتفاوتون ويتفاضلون في الخشية من الله.

ولا غرو أن يكون هذا التفاضل بين العلماء منفذا لبيان ارتفاع درجاتهم كما قال جل شأنه: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}** [المجادلة: ١١].

وتبعا لهذا التفاضل، وذلك التفاوت المتشابه مع ألوان الثمرات والجبال والأنعام... يتجلى تفاوت العلماء في الخشية من الله.. فهم بين ساجد قائم آناء الليل **(يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه)** وآخر قائل للحق مبلغ للرسالة **{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ}** [الأحزاب: ٣٩] وآخر حاكم بالعدل، وآخر.. يتبنى تعليم الجيل وقضايا الأمة، وآخر مجتهد في النوازل والقضايا المستجدة المعاصرة، وكلهم يخشونه في مجالات الحياة المختلفة، المقابلة للألوان والثمرات المختلفة **{يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ}** [الرعد: ٤].

ويستنتج من هذا القول أن كلمة (كذلك) في الآية بوابة النفاذ من اختلاف الألوان في المخلوقات إلى اختلاف العلماء في مداركهم وأحوالهم ودرجات خشيتهم من الله تعالى، ويعتبره الباحث من المعاني المرادة.

القول الثالث: ذكر الاحتمالين مع عدم الجزم بأحدهما.

بعض المفسرين. كابن عطية. يذكر الوجهين في (كذلك) فيقول: وقوله "كذلك" يحتمل أن يكون من الكلام الأول فيجيء الوقف عليه حسنا، وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين؛ ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج السبب كأنه قال كما جاءت القدرة في هذا كله فكذلك "إنما يخشى الله من عباده العلماء" أي المحصلون لهذه العبرة الناظرون فيها[١٢٥] وهو تخلص إلى ذكر أوليائه تعالى مع إفادة أنهم الذين نفع فيهم الإنذار وأن لك بهم غنية عن المصرين على الضلال... وفي بعض التفاسير المأثورة عن السلف ما يشعر بتعلق {كذلك} بما بعدها[١٢٦].

وهؤلاء ذكروا الاحتمالين في لفظة (كذلك) كونها تماما للكلام السابق بها، وكونها ابتداء من الكلام التالي لها، وقد سبق معنى كل منهما[١٢٧].

وعند عودتنا لإدراك العلاقة بين تنوع الألوان.. وتفاوت الخشية نجد أن ثمرات الخشية من الله عند العلماء تتعدد وتتنوع وتتفاوت، وتتجلى في تعليم الأمة، وقول الحق، والحكم بالعدل، والشورى بما يكفل حفظ حقوق الأمة والذود عنها، واستنباط الاحكام، ونبذ الجهل.. كتعدد الثمرات وألوانها منافعها بالماء الواحد، وتعدد الطرق والجبال وأنواع التربة والقطع المتجاورة واختلاف ثمارها، ومناسبتها لغرس دون غرس وثمر دون ثمر، فكذلك تختلف استعدادات العلماء، وقدراتهم لتلبية متطلبات الحياة بما يكفل بيان الحق، وتزكية النفوس، وبناء جيل راشد، وتجنيب الناس ويلات الجهل، والفرقة والبغضاء، والتواني والدعة والكسل؛ كل بحسب طاقته واستعداده **{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}** [المؤمنون: ٦٢].

وبناء على هذا التفاوت يكون تفاوت درجاتهم في الجنة.. وقد قال النبي محمدﷺ: **(أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له)**[١٢٨] فكان له المقام الأعلى وهو أكرم الخلق على الله تعالى، وقد بين ابن القيم دلالة الحصر في إنما يخشى الله من طرفين "ألا يخشاه إلا العلماء، ولا يكون عالما إلا من يخشاه"[١٢٩].

ويستنتج من هذا المطلب أن القرآن نفذ بالمثل من اختلاف الألوان في الثمرات وطرائق الجبال إلى اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام، ومنها إلى تفاوت العلماء. المدركين لسنة الله في خلقه. في خشية الله، حسب تفاوت مداركهم في إدراك الجمال البديع الدال على كمال وقدرة ذي الجلال... ومن المفسرين من سمى هذا النفاذ خلوصًا من شيء إلى شيء.. وهو تعريف النفاذ[١٣٠]... والله أعلم.

أثر هذا النفاذ في تفسير اختلاف العلماء في الخشية:

يظهر أثر هذا النفاذ في بيان سنة اختلاف الألوان والأذواق، القائمة على التنوع في التعامل مع المختلفات طعما ورائحة وشكلا ولونا.. وكذلك اختلاف الناس في أذواقهم وتفضيل بعض الألوان والأجناس من الثمرات وغيرها مما ذكر، إذ لا يمكن حمل الناس على ذوق واحد، وطبع واحد، وإن كان يجمعهم أصل واحد، كما لا يمكن حمل العلماء على وصف واحد في درجات الخشية من الله.. ولولا هذا النفاذ ما اتضح هذا المعنى في إمكانية استيعاب الأمة لهذا التفاوت في الخشية في المجالات المتنوعة والمختلفة؛ كاستيعابهم لتنوع الثمرات في مختلف المواسم والأوقات.

المطلب الثالث: النفاذ بالمثل من اختلاف أطوار النبات إلى اختلاف أطوار الحياة الدنيا.

قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ}** [الزمر: ٢١].

ففي الآية استلفات نظر النبيﷺ وأمته إلى الماء النازل من السماء ومنه ينابيع الأرض، يخرج به الله **{زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ}** أي: أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه **{ثُمَّ يَهِيجُ}** أي: يكتهل بعد نضارته وشبابه **{فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا}** قد خالطه اليُبْس **{ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا}** أي: ثم يعود يابسا يتحطم(١٣١).

وينفذ القرآن من مشهد اختلاف ألوان النبات وأطواره بقول الله تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ}** إلى أن الدنيا تكون خَضرةً نضرةً حسناء، ثم تعود عَجُوزا شوهاء، والشاب يعود شيخا هَرِما كبيرا ضعيفا [قد خالطه اليبس] وبعد ذلك كله الموت؛ فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، .. وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء، وينبت به زروعا وثمارا، ثم يكون بعد ذلك حُطاما(١٣٢) وهي "لفتة إلى حياة النبات في الأرض عقب إنزال الماء من السماء؛ وانتهائها إلى غايتها القريبة، وكثيراً ما يضرب هذا مثلاً للحياة الدنيا في حقيقتها الزائلة(١٣٣).

ويشير ابن عاشور إلى أن في الآية مثلا ونفاذا من اختلاف أطوار النبات "إلى اختلاف أطوار الإنسان من طور النطف إلى الشباب إلى الشيخوخة ثم الهلاك، والمقصود تشبيه الحالة بالحالة مع إمكان توزيع تشبيه كل طور من أطوار الحالة المشبهة، بطور من أطوار الحالة المشبه بها، وهو أكمل أنواع التمثيلية (١٣٤). كما أن فيه دليل على دقة صنعه تعالى،

وكيف أودع الأطوار الكثيرة في الشيء الواحد يخلف بعضها بعضاً، من طور وجوده إلى طور اضمحلاله... من الإنزال إلى آخر الأطوار(١٣٥).

ويرى بعض المفسرين أن في هذا التمثيل نفاذا إلى "البعث من القبور وإحياء الموتى على ما يوجبه هذا المثال المذكور(١٣٦) كما أنها تصلح مثالاً لتقريب البعث؛ فإن إنزال الماء على الأرض وإنباتها بسببه أمر يتجدد بعد أن صار ما عليها من النبات حطاماً، وتخللت زراريعه الأرض فنبتت مرة أخرى بنزول الماء، فكذلك يعود الإنسان بعد فنائه كما قال تعالى: **{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا}** [نوح: ١٧، ١٨] فتتضمن الآية إدماج تقريب البعث وإمكانه مع الاستدلال على انفراد الله تعالى بالتصرف(١٣٧).

ومن نظائر هذا المثل في القرآن قوله تعالى: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** [الحديد: ٢٠] وبالرغم أن المثل في هذه الآية بدأ بالحديث عن الدنيا.. إلا أن بعض المفسرين أشار إلى أكثر من نفاذ في الآية ومن ذلك:

أنه نفاذ إلى الحياة الدنيا، والحياة الدنيا حين تقاس بمقاييسها هي وتوزن بموازينها تبدو في العين وفي الحس أمراً عظيماً هائلاً. ولكنها حين تقاس بمقاييس الوجود وتوزن بميزان الآخرة تبدو شيئاً زهيداً تافهاً. وهي هنا في هذا التصوير تبدو لعبة أطفال، بالقياس إلى ما في الآخرة من جد تنتهي إليه مصائر أهلها بعد لعبة الحياة!(١٣٨) فليست إلا كلعب الصبيان ولهو الفتيان.. وزينة النسوان من اللباس والحلي(١٣٩).

ومع هذا البيان لحقيقة الدنيا فإن القرآن يستشهد بمثل مصور ومشهد محسوس مألوف، ليزيدها بيانا نافذا منه لبيان حقيقتها أو تقريبها إذ "يشبهها بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره(١٤٠) فهي سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال(١٤١) وهكذا نجد أن القرآن هنا نفذ من هذا المثل ليبين حقيقة الحياة الدنيا بهذه الصورة المتحركة المأخوذة من مشاهدات البشر المألوفة... ينتهي بمشهد الحطام!(١٤٢) وهو الزرع اليابس "متفتتاً هشيماً متكسراً متحطماً بعد يبسه(١٤٣).

ويجدر بنا هنا التنبيه إلى أمر مهم مفاده "أن القلب حين يتعمق في طلب الحقيقة.. يجد أن القرآن لا يقصد بهذا التصوير.. العزلة عن حياة الأرض، ولا إهمال عمارتها التي ناطها بهذا الكائن البشري.. إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية،

والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض"[١٤٤] وأن هذه القيم هي قيم سماوية؛ لا يؤثر فيها إعجاب الكفار أي الزراع.. ولا الكفار بالله الذين هم أشد إعجابا بالدنيا[١٤٥] ولا يحسبون للآخرة حسابا. والله أعلم.

أثر هذا النفاذ في تقريب حقيقة الحياة الدنيا:

وعن أثر هذا النفاذ في تقريب الحقيقة وتفسيرها يقول الآلوسي (في ذلك تذكير عظيم **{لأولى الالباب}** أي تنبيهاً لهم على حقيقة الحال؛ يتذكرون بذلك حال الحياة الدنيا وسرعة تقضيها، فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنتها)[١٤٦] بل يتعقلون الأشياء على حقيقتها، فيتفكرون ويعتبرون، ويعلمون بأن الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع "في سرعة التصرم، وقرب التقضي، وذهاب بهجتها، وزوال رونقها ونضارتها، فإذا أنتج لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها، والميل إليها، وإيثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة، واللذة الخالصة، ولم يبق معهم شك في أن الله قادر على البعث والحشر، لأن من قدر على هذا قدر على ذلك[١٤٧]. في ختام الآية قوله تعالى **{إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب}** "تعريض بأن الذين لم يستفيدوا من الأدلة بمنزلة مَن عدموا العقول"[١٤٨] ويستنتج أن القرآن نفذ بالمثل من اختلاف ألوان النبات وأطواره، إلى اختلاف أطوار الحياة الدنيا، وأن نهاية الحياة الدنيا كنهاية الزرع الذي صار حطاما يابسا تذروه الرياح، وفي ذلك تقريب لحقيقة الحياة الدنيا وبيان لمعنى الحياة فيها، وأن الانتفاع بهذه الأمثال حصري على أولي الألباب.

خـــاتمـة:

تم. بحمد الله. هذا البحث الموسوم ب "النفاذ في المثل القرآني وأثره في تفسير وتقريب المعاني" وأضمنه هنا أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتـــائج:

- النفاذ في اللغة يأتي بمعان منها الجواز أو الخلوص من شيء إلى غيره. وهو في الاصطلاح بمعنى: تجاوز الشيء والخلوص منه إلى غيره عبر منفذ ينفذ منه، وقد ورد في القرآن ثلاث مرات في آية واحدة في معرض التعجيز، واستعمله المفسرون بمعان منها الجواز والعبور والخروج والخلوص والمضي من الشيء إلى غيره.
- يراد بالمثل في إطار هذا البحث: تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس.

- يراد بالنفاذ في المثل القرآني: تجاوز المعنى الظاهر والمشهد المنظور والخلوص منه إلى معنى مكنون أو غيبي عبر منفذ جامع أو معنى مشترك بجامع المماثلة المعنوية بين المنفوذ منه والمنفوذ إليه.
- تبدو أهمية الأمثال في القرآن من تصريفها وتنويعها وشمولها، وغايتها، ومن قول بعض العلماء بوجوب العلم بأمثال القرآن، لاسيما على المجتهد، كما تبدو أهميتها من عظمها وقلة من يعقلها، وأثرها في بيان المعاني.
- من وجوه الحكمة في المثل القرآني، تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، والمعنوي بالمحسوس، والنفاذ إلى المعاني المكنونة وكشفها، وتبكيت الخصم، والهداية إلى أقوم السبيل، وإيصال المعاني إلى القلوب، وتضمنها الحجج الواضحة، وقوة الإقناع بما يوصل إلى التسليم والاطمئنان.
- تبدو قيمة النفاذ في المثل القرآني في تقريب معنى البعث والنشور، بمشاهد محسوسة ومرئية من حياة الأرض بعد موتها في أكثر من آية وموضع في القرآن الكريم، وذلك لإقامة الحجة على منكري البعث.
- نفذ القرآن بمثل تعقيبي من طيب الأرض إلى طيب القلوب بالإيمان وثمراته، كما نفذ من المثل بالأرض الخبيثة إلى القلوب الخبيثة، وما يستتبعه خبثها من الأذى الظاهر، والحقد الخفي، وما كان هذا المعنى ليتضح لولا هذا النفاذ.
- يستنتج أن القرآن نفذ من حياة الأرض بالغيث بعد موتها؛ باستعارة تمثيلية لبيان القدرة الالهية في إحياء القلوب بعد قسوتها، وهذا النفاذ من أساليب البيان وتقريب المعنوي بالمحسوس.
- نستنتج أن القرآن ضرب مثلا نافذا بالماء الذي يمكث في الأرض مثلا للحق، وبالزبد الذ ي يذهب جفاء مثلا للباطل بجامع النفع في الماء والحق، وعدم النفع في الزبد والباطل. وبكلمات قليلة محكمة أثرت في بيان حقيقتهما بمشهد محسوس ومرئي.
- ينفذ القرآن بالمثل من اختلاف الألوان في الثمرات وطرائق الجبال إلى اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام، ومنها إلى تفاوت العلماء في خشية الله، حسب تفاوت مداركهم في إدراك الجمال البديع الدال على كمال وقدرة ذي الجلال... ومن المفسرين من استعمل الخلوص من شيء إلى شيء بمعنى النفاذ.

- أن القرآن نفذ بالمثل من اختلاف ألوان النبات وأطواره، إلى اختلاف أطوار الحياة الدنيا، وأن نهاية الحياة الدنيا كنهاية حطام الزرع اليابس، وفي ذلك تقريب لحقيقة الحياة الدنيا، وقد اختص أولو الألباب بالانتفاع بهذه الأمثال، وأن ليس منهم من لم ينتفع بها.

ثانيا: التوصيـات:

- أوصي الباحثين في التفسير بعمل دراسة شاملة لهذا الموضوع، لما فيه من الفوائد العلمية.
- أوصي الباحثين في هذا المجال بعمل بحث في "آثار النفاذ في بيان وحدة وتماسك النص القرآني".

وأحب التأكيد في الختام على أن هذا عمل بشري لا يسلم من نقص أو خلل، فإن أحسنت وأصبت فذلك الفضل من الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، ومن وجد فيه خللا فلينبهني إلى سداده.. وصلى الله على سينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

---

[1] **لسان العرب** ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ /١٣١١م) مادة نفذ (٣/ ٥١٤) وانظر مختار الصحاح (ص: ٦٨٨).

[2] **معجم مقاييس اللغة**: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا **(ت** ٣٩٥هـ /١٠٠٤م) (٥/ ٣٦٧) **(**بيروت، دار الجيل، **(ط٢)** ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) تحقيق عبد السلام محمد هارون وانظر **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفى، وآخرون (٢/ ٩٣٩). (دار الدعوة) تحقيق / مجمع اللغة العربية.

[3] **المفردات في غريب القرآن**: **الأصفهاني** أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب (ت ٥٣٥هـ /٩٤٦م)**:** دمشق، دار القلم (ص: ٥٠٠- ٥٠١).

[4] **جامع البيان في تأويل آي القرآن**: الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) (٢٣/ ٤٢) (مؤسسة الرسالة ـ ط الأولى ـ ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م) تحقيق أحمد محمد شاكر.

[5] **معالم التنزيل: البغوي** أبو محمد الحسين بن مسعود ت (٥١٦هـ ١١١٧م) (٧/ ٤٤٧) (دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط الرابعة ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر وآخرون وانظر **البحر المحيط**: أبي حيان محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ ـ ١٣٤٤م (٨/ ١٩٣) (دار الكتب العلمية ـ بيروت – ط الأولى ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) **وتفسير القرآن العظيم**: أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي المصري الشافعي (ت٦٤٢هـ) ٢ /٤١٧(دار النشر للجامعات ـ القاهرة، دون رقم وتاريخ الطبع) تحقيق وتعليق موسى علي موسى، وأشرف القصاص).

[6] **فتح البيان في مقاصد القرآن**: القِنَّوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ت (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) (١٣/ ٣٣٠) (المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ صيدا بيروت ـ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

[7] **تفسير الشعراوي** محمد متولي ت ١٤١٨هـ ١٩٩٧م المسمى **الخواطر** (ص: ٨٤١).

[8] **المفردات**: للراغب الأصفهاني (٢/ ٣٧٩).

[9] **لسان العرب: مادة "مثل" مصدر سابق.** (١١/ ٦١٠).

[10] **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: أبو السعود محمد بن محمد العمادي ت (٩٨٢هـ ـ **١٥٧٤م)** (٥٠/١) (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

[11] **الأمثال في القرآن الكريم**: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ت ٧٥١هـ ص٩ (مكتبة الصحابة – طنطا ـ ط الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م) تحقيق: إبراهيم بن محمد. بتصرف يسير.

[12] **تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء **(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)** (دار طيبة للنشر والتوزيع (ط٢) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) تحقيق سامي بن محمد سلامة (٦/ ٢٧٩).

[13] **الإتقان في علوم القرآن**: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري جلال الدين ت (٩١١هـ ١٥٠٥م) (٢/ ٣٤٣) بتصرف.

[14] **الإتقان في علوم القرآن** (٢/ ٣٤٣) بتصرف يسير.

[15] **البرهان في علوم القرآن**: **الزركشي** بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت **(٧٩٤هـ ١٣٩١م)** (دار إحياء الكتب العربية (ط١) ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١/ ٤٨٨) والإتقان في علوم القرآن ٣٤٤/٢.

[16] **قانون التأويل**: ابن العربي القَاضِي أبي بَكر محمَّد بن عَبْد اللهِ المعَافِري الإشبيلي (ت ٥٤٣هـ) (دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة جَدّة) دراسة وتحقيق محمّد السّليماني.

[17] **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري** أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٢٨هـ / ١١٣٣م) (١٣٩/١) (دار إحياء التراث العربي – بيروت) تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

[18] **عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن**: الطهطاوي على أحمد عبد العال (ص: ١٧٦) (دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

[19] **تفسير المنار** (١/ ١٩٨) وينسب هذا القول للجرجاني عبد القاهر وبحثت عنه في دلائل الإعجاز فلم أجده فذكرت القول له.

[20] **البرهان في علوم القرآن** (١/ ٤٨٨).

[21] **تفسير المنار**: محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) (١٩٨/١) (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م).

[22] **عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن**: (ص: ٢٦٩).

[23] **التفسير الوسيط**: الزحيلي وهبة بن مصطفى (٢/ ١٤٣٦) (دار الفكر – دمشق ط: الأولى - ١٤٢٢هـ)

[24] **قانون التأويل**: ابن العربي المعافري (ص: ٥٦٧).

[25] **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور ت (١٣٩٣ هـ ١٨٦٨م) (٢٠/ ٢٥٥) (دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس – ١٩٩٧م).

[26] **الأمثال القرآنية القياسية** للجربوع (٥/ ٣٢٨).

[27] **عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن** (ص: ٢٦٩).

[28] **الأمثال القرآنية القياسية** (٥/ ٣٢٩).

[29] **معالم التنزيل**: (٦/ ٨٥) سابق.

[30] **الأمثال القرآنية القياسية** (٥/ ٣٢٩).

[31] **الإتقان في علوم القرآن** (٢/ ٣٤٤).

[32] **الأمثال القرآنية القياسية** (٥/ ٣٢٩).

[33] **تفسير المنار "محمد رشيد رضا** (٨/ ٤٢٧).

[34] **جامع البيان في تفسير آي القرآن** (٤٩٣/١٢).

[35] **تفسير الشعراوي** (٢٩١٢) بتصرف بسيط.

[36] **تفسير ابن كثير** (٧/ ٣٩٦).

[37] **في ظلال القرآن**: سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م) (دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ـ ط العاشرة ـ ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م (٣/ ١٢٩٩).

[38] **السابق:** (٣/ ١٢٩٩).

[39] **جامع البيان** (١٢/ ٤٩٣).

[40] وانظر الآيات سورة الروم ١٩، ٥٠، ق (٨ ـ ١١) وغيرها كثير في القرآن بموارد متعددة وسياقات مختلفة.

[41] **تفسير الشعراوي** (ص: ٢٩١٣) وانظر **جامع البيان** (١٢/ ٤٩٦).

[42] **التسهيل لعلوم التنزيل**: ابن جزي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي أبو القاسم ت (٧٤١ هـ ـ ١٣٤٠م) (ص: ٥٠٥) (دار الفكر للنشر والتوزيع) وتفسير المنار (٨/ ٤٢٧).

[٤٣] **تفسير المنار** (٨/ ٤٢٧).
[٤٤] **جامع البيان** (١٢/ ٤٩٧).
[٤٥] **تفسير المنار** (٨/ ٤٢٨).
[٤٦] **في ظلال القرآن** (٣/ ١٣٠٠).
[٤٧] **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله **ت (٢٥٦هـ٨٦٩م)** ك: العلم، باب فضل من علم وعلم (١/ ٢٧)، واللفظ له (دار طوق النجاة - ط الأولى -١٤٢٢هـ) (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) وتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر برقم (٧٨) وانظر **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ات ٢٦١هـ) ك: باب بيان مثل ما بعث به النبي صل الله عليه وسلم من الهدى والعلم عبد الباقي (٤/ ١٧٨٧). دار إحياء التراث العربي – بيروت) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي:
[٤٨] **تفسير المنار** (٨/ ٤٢٨).
[٤٩] **جامع البيان** (١٢/ ٤٩٧).
[٥٠] **فتح البيان في مقاصد القرآن** ٣٨٤/٣.
[٥١] **معالم التنزيل** (٣/ ٢٤٠).
[٥٢] **جامع البيان** (١٢/ ٤٩٧) **وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: محمود أبو الفضل ت (١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م) (٦/ ٢١١) (دار إحياء التراث العربي - بيروت)
[٥٣] **معالم التنزيل** (٣/ ٢٤٠).
[٥٤] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (٤/ ٣٨٤) ونقله عن قتادة.
[٥٥] **السابق** (٤/ ٣٨٤).
[٥٦] **لطائف الإشارات** (٢/ ٥٤٣).
[٥٧] **التحرير والتنوير** (٨/ ١٨٤).
[٥٨] **التفسير المنير** (٨/ ٢٤٦).
[٥٩] **تفسير المنار** ٤٢٧/٨.
[٦٠] **السابق** ٤٢٨/٨.
[٦١] **تفسير القرآن العظيم: ابن كثير** (٨/ ٢١).
[٦٢] **روح المعاني** ٣٢٩/٢٠، وانظر **فتح القدير** الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: **الشوكاني** محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) (٥/ ٢٤٥).
[٦٣] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي** أبو محمد عبد الحق بن غالب، (ت٥٤٦هـ/١١٥١م) (٥/ ٢٣٩) (دار الكتب العلمية - لبنان - ط الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
[٦٤] **التحرير والتنوير**: (٢٧/ ٣٩٤) وانظر **التفسير المنير** (٢٧/ ٣١٣).
[٦٥] **التحرير والتنوير** (٢٧/ ٣٩٥).
[٦٦] **تفسير المراغي**: أحمد مصطفى: (مصر - ط البابي الحلبي وأولاده) (٢٧/ ١٧٣) **والتفسير المنير** (٢٧/ ٣١٦).
[٦٧] **التفسير المنير** (٢٧/ ٣١٣).
[٦٨] **التبصرة: ابن الجوزي** أبو الفرج عبدالرحمن (١/ ٣٢٦).
[٦٩] **في ظلال القرآن** ٣٤٨٩/٦.
[٧٠] **لطائف الإشارات**: عبد الكريم بن هوازن القشيري ت ٤٦٥هـ (٣/ ٥٣٩) (الهيئة المصرية العامة للكتاب) تحقيق: إبراهيم بسيوني.
[٧١] **زاد المسير في علم التفسير**: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد ت **(٥٩٧ هـ ١٢٠١ م)** (٤/ ٣٢٢) (المكتب الإسلامي – بيروت - ط الثالثة - ١٤٠٤هـ).
[٧٢] **زاد المسير** ٣٢٢/٤.
[٧٣] **الأمثال في القرآن**: ابن قيم الجوزية (ص: ١١).
[٧٤] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١١٧).
[٧٥] **زاد المسير** (٤/ ٣٢٢).

[٧٦] **انظر قواعد الترجيح عند المفسرين**: الحربي حسين بن علي بن حسين ص١٣٧ـ رسالة ماجستير من كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود (دار القاسم ـ الرياض ـ ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م) **وقواعد التفسير عند مفسري الغرب الاسلامي** خلال القرن السادس الهجري مسعود الركيتي ص١١٣(منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ـ المغرب ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م).

[٧٧] **قواعد التفسير جمعا ودراسة**: خالد السبت ٥٩٩/٢ "(دار ابن القيم ـ الرياض ـ ودار وابن عفان ـ القاهرة ـ ط الثانية ـ ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م).

[٧٨] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (٧/ ٤٠).

[٧٩] **السابق**: (٧/ ٤١) وانظر **التحرير والتنوير** (١٣/ ١١٧).

[٨٠] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١١٦).

[٨١] **التسهيل لعلوم التنزيل** (ص: ٧٦٦).

[٨٢] **أمثال القرآن**: ابن قيم الجوزية ص١١.

[٨٣] **التسهيل لعلوم التنزيل** (ص: ٧٦٦).

[٨٤] **تفسير الشعراوي** (ص: ٥٨٣٦).

[٨٥] **روح المعاني** الألوسي (١٢/ ٣٤٣).

[٨٦] **السابق**: ١٢/ ٣٤٣.

[٨٧] **روح المعاني** (٩/ ٢٣٧، وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن ٤١/٧).

[٨٨] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١١٨) والكشاف ٤٩٣/٢).

[٨٩] **السابق** (١٣/ ١١٨) بتصرف بسيط.

[٩٠] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (٧/ ٤١).

[٩١] سبق تخريجه.

[٩٢] **الجمع بين الصحيحين** البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الحميدي (دار ابن حزم ـ لبنان/ بيروت ـ ط الثانية ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م) (١/ ١٦٨) تحقيق: د. علي حسين البواب.

[٩٣] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١٢٠).

[٩٤] **السابق**: (١٣/ ١٢١).

[٩٥] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١١٩).

[٩٦] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (٧/ ٤٢)

[٩٧] **السابق**: (٧/ ٤٣).

[٩٨] **في ظلال القرآن** (٤/ ٢٠٥٣ـ ٢٠٥٤).

[٩٩] **السابق**: ٤/ ٢٠٥٤.

[١٠٠] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١١٨) (معترضة بين جملة) فاحتمل (الخ وجملة) فأما الزبد.

[١٠١] **السابق**: (١٣/ ١١٩).

[١٠٢] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (٧/ ٤٣).

[١٠٣] **التحرير والتنوير** (١٣/ ١٢١).

[١٠٤] **البحر المحيط** ،٢٨٤/٧، وانظر **الكشاف** ٦١٩/٣.

[١٠٥] **تفسير ابن كثير** (٦/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤) بتصرف بسيط.

[١٠٦] **السابق**: ٥٤٤/٦.

[١٠٧] **السابق**: ٥٤٤/٦.

[١٠٨] **روح المعاني**: (١٦/ ٣٩٣)

[١٠٩] **في ظلال القرآن**: ٢٩٤٢/٥.

[١١٠] **السابق**: ٢٩٤٣/٥..

[١١١] **السابق**: ٢٩٤٣/٥ بتصرف بسيط.

[١١٢] **روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام أبي افرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي**: طارق بن عوض الله بن محمد ١٢٤/١ دار العاصمة ـ الرياض ـ ط الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م)

[١١٣] **في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٤٢).**

[114] انظـر **معـالم التنزيـل** (٦/ ٤١٩) **وفـتح البيـان فـي مقاصـد القـرآن** (١١/ ٢٤٥) **وروح المعـاني** (١٦/ ٣٩٣وهي قراءة ابن السميفع. وقال النحاس أن التمام في الوقف على "كذلك " وقال كذا روي عن نافع أنظر **القطع والائتناف** ص ٥٧٢.

[115] **روح المعاني** (١٦/ ٣٩٣).

[116] **روح المعاني** (١٦/ ٣٩٣).

[117] **التحرير والتنوير** (٢٢/ ٣٠٣) بتصرف بسيط.

[118] **السابق:** (٢٢/ ٣٠٤).

[119] **روح المعاني** (١٦/ ٣٩٤) وإن ضعف الالوسي هذا الاستنتاج.

[120] **التحرير والتنوير** (٢٢/ ٣٠٤).

[121] **الكشاف** (٣/ ٦٢٠).

[122] **التفسير الميسر** (٧/ ٤٥٢).

[123] **الكشاف** (٣/ ٦١٩).

[124] **التحرير والتنوير** (٢٢/ ٣٠٤) وانظر الكشاف ٦١٩/٣.

[125] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (٤/ ٥٠٢).

[126] **روح المعاني** (١٦/ ٣٩٣) وضعف الآلوسي هذا الاحتمال ورجح الأول بل ادعى إجماع أهل الأداء عليه.

[127] وهو ما يدعونا للبحث في الكلمات المشتركة بين جملتين ووقف التعانق، فيمكن إلحاقها بما قبلها تماما للكلام السابق.. أو الابتداء بها على أنها ابتداء كلام جديد، .. ويمكن الوقوف على هذه المسألة وأمثالها في بحث مستقل.. فهناك ألفاظ إذا تممت بها الكلام السابق فوقفت عليها أفادت معنى، وإذا ابتدأت بها في كلام لاحق أفادت معنى آخر، ومثال ذلك قوله تعالى (فجاءت إحداهما تمشي على استحياء.. فلو وقفت عليها أفادت مشية الاستحياء.. ولو وقفت على "تمشي" وبدأت ب (على استحياء قالت لكان الاستحياء باد في قولها وخطابها..

[128] **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٤/ ١٧٨)** وانظر صحيح مسلم بشرح عبد الباقي، ك: الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته (٢/ ٧٧٦) برقم (١١٠٨).

[129] **موسوعة التفسير بالمأثور**: مجموعة من العلماء في مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (دار ابن حزم - بيروت لبنان طـ الأولى - ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م تحت إشراف المشرف العلمي مساعد بن سليمان **الطيار** (٣٥٨/١٨).

[130] انظر التعريف اللغوي والاصطلاحي للنفاذ في بداية البحث.

[131] **تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٩٣/٧.**

[132] **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير (٧/ ٩٣) **ومعالم لتنزيل** (٧/ ١١٤).

[133] **في ظلال القرآن** (٦/ ٢٢٩) وانظر آية يونس ٢٤، والكهف ٤٥.

[134] **التحرير والتنوير** (٢٣/ ٣٧٩).

[135] **السابق:** (٢٣/ ٣٧٨).

[136] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (٤/ ٥٩٦)

[137] **التحرير والتنوير** ٣٧٨/٢٣.

[138] **في ظلال القرآن** ٦/ ٣٤٩١.

[139] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (١٣/ ٤١٥).

[140] **التسهيل لعلوم التنزيل** (ص: ٢٣٢٧).

[141] **روح المعاني** ٢٣/ ٣٣٥.

[142] **في ظلال القرآن** ٣٤٩١/٦.

[143] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (١٣/ ٤١٦).

[144] **في ظلال القرآن** ٣٤٩١/٦.

[145] **التسهيل لعلوم التنزيل** (ص: ٢٣٢٧) **وانظر في ظلال القرآن** ٦/ ٣٤٩١ بتصرف.

[146] **روح المعاني**: ٤٥١/١٧.

[147] **فتح البيان في مقاصد القرآن** (١٢/ ١٠١).

[148] **التحرير والتنوير** ٣٧٩/٢٣.